

2020

## إشكالية تشغيل المنهج في النقد العربي المعاصر

فؤاد زرواق  
أستاذ باحث، الجزائر

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

### Recommended Citation

زرواق, فؤاد (2020) "إشكالية تشغيل المنهج في النقد العربي المعاصر" *Dirassat*. Vol. 22 : No. 23 , Article 3.  
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol22/iss23/3>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## إشكالية تشغيل المنهج في النقد العربي المعاصر

زرّاق فؤاد

أستاذ باحث - الجزائر

### المخلص :

أنتجت المناهج في الأصل لتستهدف العمل الأدبي بالتقويم والنظر، فكانت أداة مطواعة في يد الناقد يحاور بها النص الأدبي الذي هو هدف؛ المؤسسة وسيلة في العملية النقدية. لكن النقد العربي المنبر بكل ما هو وافد داس على هذه الفرضية المنطقية، فأصبح المنهج هو المهم الذي يحمله والنص هو مجرد وسيلة لتحقيق الغاية.

وكان من حق النقاد العرب أن يبحثوا عن الآلة المنهجية في تقويم إبداعاتهم، ولكنهم كانوا يبحثون عن شيء دقيق في بحر لحي؛ لذلك لم يجدوا بدءًا من التقليد جريا وراء منتوج الغرب في مجال النقد الذي قد لا يُمايز الإبداع العربي بدقة، وبالتالي فأمر كشف الجمال والإبداع وأسرار العمل تبقى مجهولة ومؤجلة.

لذلك تروم هذه الدراسة محاولة تسليط الضوء على قضية إشكالية المنهج عندنا، وهل نحن بالفعل نعاني من مشكلة المنهج. وفي خضم هوسنا بالغرب هل تحققت الغاية المرجوة من النقد. كما تتطرق لقضية تشغيل المنهج النقدي ومعوقاته؛ كما تحاول إثارة علاقة الناقد أو المُشغل بالمنهج وكيف أن ذلك له علاقة مباشرة بنجاح المنهج أو فشله.

## المقدمة :

يحمل النقد من اعتباره طريقة في التفكير مسؤولية الإبانة على ما تحمله الثقافة من أفكار، وعلى ما تتصف به ذهنية ما من خصائص في التفكير، فهو مرآة عاكسة للواقع الثقافي المميز لكل مجتمع من المجتمعات وكل أمة من الأمم. وهو مقياس يعرف به مستوى التقدم الذي تحتله ثقافة من الثقافات. ولا شك أن تخلف العمل النقدي يبين على المستوى الهزيل الذي يتميز به الإبداع والإنتاج؛ لأن العمل الأدبي قائم ومؤسس على نظرية نقدية لها مركزاتها وثوابتها في اكتشاف القيمة الجمالية والفنية والفكرية للعمل الأدبي.

إن الإشكال الذي ما فتئت تتخبط فيه الساحة النقدية العربية ممثل في ضياع الذات والهوية، كرس هذا المشكل العويص التبعية العمياء وغير المسؤولة للغرب فيما أنتجه من منهجيات نقدية، (وأصبح معنى الأزمة حالة من التوقف والتدهور على صعيد الجودة والأصالة)<sup>1</sup> فلا نحن فتشنا في تراثنا لإيجاد الحل، ولا نحن استفدنا من إنتاجات غيرنا في المجال؛ وكانت انطلاقتنا في الميدان انطلاقة مخزية لا بداية لها -أو لنقل- انطلاقة مبتورة من سياقها التاريخي كما أشار إلى ذلك عبد العزيز حمودة في كتابه (المرايا المقعرة) في لهف شديد وتلقي غير مسؤول لمنتج الغرب<sup>2</sup>.

وقد لا يكون هناك تصور واضح أصلاً لمفهوم المنهج كروية فلسفية متكاملة، فصار المنهج -عندنا- بعد ما كان أحد مقومات المعرفة الإنسانية -إشكالا حقيقيا.

<sup>1</sup>- أزمة الإبداع في الفكر العربي المعاصر - أزمة ثقافة أم أزمة عقل 84، مجلة فصول، ع، 3 لسنة 1984.  
<sup>2</sup>- ينظر عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية 98، سلسلة عالم المعرفة، 232، الكويت، 1998.

## إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر :

احتاج الإنسان منذ القديم إلى وسائل تعبيرية تمكنه من البوح والتعبير عن مختلفات نفسه، فابتكر قوالب كثيرة يصب فيها كلامه منها: النظم والخطابة والتمثيل. ولكنه بعد فترة زمنية من شيوع تلك الفنون أراد أن ينظر إلى ما وراءها فدعته حاجته لفهم هذه الفنون أكثر إلى التفكير في طريقة توصله لمعرفة مكامن الجمال فيها، ومواضع القبح حتى يستطيع تقويمها؛ فنشأ النقد ملازماً للإبداع ومواز له في التوضع يلتقط كل جديد في الفن والإبداع ويتناوله بالتهذيب والتمحيص.

إن فعل تقويم النصوص ليس عملاً عشوائياً بل هو عمل منظم يركز على منهج وطريقة في العمل. والمنهج هو عبارة عن خطوات ومراحل علمية واضحة ودقيقة تركز لفهم الإبداعات من خلال محاورتها قصد البوح بجمالياتها، وهو من المميزات التي قد تبين على المستوى الثقافي للأمم والشعوب<sup>1</sup> فهو يعكس ويعبر إما عن درجة تخلف الثقافة وإما عن درجة تقدمها<sup>1</sup>.

وإشكالية المنهج ليست جديدة؛ بل هي من المؤرقات التي شغلت بال العديد من الباحثين من خلال البحث في ماهية المنهج من الولادة مروراً بالصبا والترعرع والشباب والكهولة وحتى الشيخوخة والفناء لبعض المناهج، متتبعين أخص خصائصها ورابطين تصوراتهم بكل ما له علاقة بالمنهج كالنظرية والمشغل الناقد.

ولكن السؤال المطروح هنا هل يوجد عندنا نحن العرب منهج؟ وهل وفقنا في التنظير لمنهج نقدي عربي خالص وأصيل؟ أو على الأقل هل وقع اختيارنا

1- سمير حجازي، إشكالية المنهج في النقد العربي، 40 دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

على منهج من المناهج الوافدة ؟

لا شك أنه وبإطلاع بسيط يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بالنفي المحزّي "إننا مع هذا التكاثر المقيت للمنهج أصبحنا نفتقد إلى منهج عربي أصيل نحتكم إليه، فنحن إنما نعيش اليوم شكلا من أشكال إرهاب المنهج"<sup>1</sup>.

لقد اصطفت مجموعة من الأسباب ساهمت في تكوين إشكالية المنهج عندنا؛ منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي واختلفت حتى من ناحية المرجعية الدينية والثقافية. ويمكن رصد المشكلات التي تعرقل الخطاب النقدي العربي على النحو التالي :

عزل المناهج عن مرجعيتها النقدية التي ولدت فيها والبيئة التي أفرزتها، ومعلوم أن خصوصيات العرب ليست كخصوصيات غيرهم من الأجناس والأمم الأخرى. فالإنهار المباشر بمنجزات الغربيين النقدية جعلت نقادنا لا يفرقون بين الغث والسمين في استيراد تلك المفاهيم الغربية. يقول ادوارد سعيد "يساورني الانطباع بأننا في العالم العربي نقوم بنسخ مباشر ما إن يقرأ الواحد منا كتابا من تأليف فوكو أو غرامشي حتى يرغب في التحول إلى غرمشاوي أو فوكوي"<sup>2</sup>.

وتعتبر مشكلة المصطلح وترجمته أمرا مساهما في ترسيخ إشكالية الخطاب النقدي فالناقد العربي الحديث وهو يحاول تشغيل المصطلحات في دراسة النصوص والإبداعات كان يتعامل معها بنوع من انحسار في المفهوم، فلم يكن يتجشم عناء البحث أكثر في مفاهيمها البعيدة وهي المعاني الحقيقية لها في بيئتها

<sup>1</sup>- مختار ملاس، إرهاب المنهج في النقد الأدبي المعاصر 12، منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.

<sup>2</sup>- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، 10 سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.

التي أنتجت فيها، فلم يكن يُحمل نفسه أكثر من وضع المقابل لمفهوم المصطلح في العربية من اللغة الأجنبية.

ومن الملاحظ أن بعض المترجمين يقدمون على الترجمة دون تسليح كاف بأدواتها ومطالبها، ولذلك يعتمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الريبكة... ومن نتائج الترجمة غير الدقيقة ومن التسرع والارتجال في وضع المصطلح أن صار المعنى الأجنبي غامضاً عند وصفه مصطلحات في العربية.

ومن الباحثين الذين تطرقوا إلى فكرة خطورة مراعاة خصوصية كل ثقافة؛ سواء العربية أو الغربية عبد الله إبراهيم في كتابه "المطابقة والاختلاف" حين كرس أهمية ما يحيط بالمنهج من حيثيات في رسم مساره العام "فلمنهج ظهر من أجل حل مشكل نمط مجتمعي محدد وأن الناقد الأوربي يستمد منهجه وأدوات هذا المنهج من خلال تصور خاص للحياة والنمط الحضاري الذي يعيشه مجتمعه ومن ثم مشكلة النص الأدبي في هذا التصور"<sup>1</sup>.

ولما كان العمل الإبداعي موجه إلى متلق قصد التأثير فيه، والتجاوب معه فإنه يطرح إشكالا آخر يتعلق بقطب مشترك ومهم في الإبداع عموماً وهو القارئ. فليس حظه بأوفر من حظ الناقد المتخصص؛ فحفة زاده المعرفي والثقافي يزيد الطين بلة في مشكلة استثمار المنهج بصفة كلية ومقاربة الأصل - وفي هذه الحالة - "جعل القارئ في حالة اغتراب، وكل هذا بسبب اندفاعية غالبية النقاد في الثمانينيات إلى محاكاة نموذج الثقافة الغربية دون تحديد للمدلول في بنية اللغة والثقافة العربية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- إبراهيم زرماني، أوراق في النقد الأدبي 92، دار شهاب باتنة، ط1، 1985.

<sup>2</sup>- سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي 41، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002.

إن الخطأ الكبير الذي يقع فيه النقاد هو الانبهار التام الذي جعلهم يتجهون صوب الإنتاج الغربي فينقلونه دون تمييز ولا مساءلة، مما ولد سوء فهم لهذه المبتكرات الجديدة من المناهج الوافدة. وكان تلقيهم لهذه المناهج على أساس أنها قوالب جاهزة وطرائق ثابتة ولكن "المنهج هو مفهوم أو مجموعة من المفاهيم، يتطلب مجرد تبنيها مقدرة شخصية وجمدا ثقافيا هاما. كما أن ممارسة هذه المفاهيم ليست مجرد تطبيق بل إعادة إنتاج لها قابلة للتبلور والتميز"<sup>1</sup>.

ومرد نجاح الفكر الغربي في التنظير المنهجي مرده إلى مرجعيات فلسفية متجذرة في كل فكرة، كانت تمثل له الخلفيات التي يتكئ عليها في سبيل إنتاج معرفة ممنهجة لها خلفياتها وجذورها. أما عندنا نحن العرب فالمرجعيات ليست منعقدة ولا مفقودة وإنما تنقص الجرأة والفاعلية في الرجوع إليها والاعتراف من معينها؛ وحتى بالنسبة للوافد إلينا من الغرب فهو محل غموض وعدم تشرب واضح وكاف لمنطلقاته وأوليياته (فهذا النقد الأدبي التي كانت معاناته وشكواه فعباراته ومصطلحاته طلسمية كثرت جمعته حول طحين قليل قديم)<sup>2</sup>.

إن التسليم الكامل والمباركة المطلقة للمناهج النقدية الوافدة؛ مع التبرم لمل قد يكون قادرا على التحليل والإبداع في تراثنا همش أدبنا وقارئنا وتراثنا، على شاكلة ما نادى به نقاد الحداثة الأوائل مثل طه حسين ودعوتهم إلى الالتفاف حول الفكر الغربي صراحة وبدون إحراج يقول طه حسين (لا بد أن يصبح عقلنا غريبا)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- يبنى العيد، في معرفة النص 124، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983.

<sup>2</sup>- وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية 13، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 2007.

<sup>3</sup>- أحمد بوحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين 68، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1985.

إن مثل هؤلاء النقاد على الرغم من أهميتهم ومراكزهم في الثقافة العربية لم يحمّلوا أنفسهم مسؤولية وضع مجموعة من الأسئلة في الحسبان قبل اختيارهم هذا من قبيل: هل نهض ذاتيا أم نعتمد على الغرب؟ وما الذي يجب أن يؤخذ من التراث ومن الغرب؟<sup>1</sup>.

ونحن إذ نتكلم بهذه اللهجة فلا نشجع على الانغلاق والانطواء على أنفسنا، فالمثاقفة شرط من شروط التحضر والمواكبة، ولكل ثقافة عيوبها ونقائصها، ولكن أن تعطى الثقافة الوافدة مكانة السبق فهذا هو الإشكال الحقيقي.

تعالت صيحات كثيرة نادت بضرورة التفتح والمثاقفة في سبيل تحصيل نظريات دقيقة؛ فكان أن اقترح جابر عصفور على العرب أن يفتنحو على أفاق النظريات المعاصرة، وأن ينفصوا عنهم ما تراكم من صداً فالنظريات القديمة ليست تقودهم إلا إلى مزيد من التخلف.

إن القضية التي يثيرها جابر عصفور ربما لها علاقة بمفهوم التأثير والتأثر، هذه القضية القديمة قدم الإنسانية. فمعلوم أن الحضارات القديمة استفادت من بعضها البعض في عديد المجالات، فكما تأثر المسلمون باليونان والهنود والفرس تأثر أولئك أيضا بثقافة المسلمين، وما التأثير الذي خلف ثورة صناعية كبرى في أوربا على عهد الأندلسيين إلا دليل قاطع على ذلك التفاعل وعلى أثر المسلمين في تاريخ الإنسانية؛ فإن كان مفهوم الانفتاح هو الأخذ والعطاء فأهلا وسهلا به، أما إن كان مفهوما مضللا للدوس على الخصوصية الحضارية والفكرية لنا فلا مرحبا به.

<sup>1</sup>- مجموعة من الباحثين قضايا العلوم الإنسانية - إشكالية المنهج إشراف وتقديم: يوسف زيدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.



إن الأمر لم يتوقف عند حدود التبرم للقديم والدعوة الصريحة لتجاوزه؛ بل وصلت ببعض الباحثين والنقاد إلى درجة التهجم على ما أنتج قديما في مجال تقويم النصوص يقول عبد الله الغذامي "إن البلاغة العربية تدعي ملكية المستقبل والسيطرة على تاريخ النص وحركته من خلال قوانينها الصارمة في التفسير والتحديد... وهذا افسد الإبداع قديما وقضى عليه وادخل القصيدة العباسية في آخر أمرها إلى عصور من الظلام والتجمد"<sup>1</sup>.

### المنهج وإشكالية تشغياله :

من المعروف أن ما أنتجه العقل الغربي في مجال المناهج دعت إليه حاجاتهم في مجال من المجالات، فكان أن غرسوا بذورا في بيئتهم فانبثت وأثمرت ثمرا تناسبها مقومات البيئة. أما عندنا نحن العرب ونتيجة الانهيار بما أنتجه الغرب أصبحنا نستورد فقط دون تمحيص ولا مساءلة؛ وكان من نتائج اجتثاث المناهج والمصطلحات أن تغربت وأصبحت غريبة في أرض غير أرضها فلم تستطع أن تنتج ولم تستطع أن تبدع وخصوصا وقت تشغيالها. فغرابة البيئة من المشكلات التي تواجه الناقد العربي فالبون الشاسع بين الثقافتين العربية والغربية واضح، ناهيك عن خصوصية المنجز العربي النابعة من ثقافة متصلة بمقومات إنسانية ودينية وثقافية واجتماعية .

إن العبرة ليست في توفر المنهج بقدر ما هي في مدى صلاحيته وموائمته للإبداع العربي. و لا تتصل هذه المشكلة فقط بالمنهج بل لها علاقة أيضا بالترجمة وما أضافته من إشكالات في الميدان.

<sup>1</sup>- عبد الله الغذامي، تأنيث القصيدة والقارئ المتخلف 103، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

فقد يغفل الكثير من الباحثين وهم يترجمون الأهداف التي من أجلها كانت الترجمة -من اعتبارها جنس ثقافي تتطلبه الحاجة ومن اعتبارها قناة وخيط واصل بين الثقافات تسخر لخدمة الإنسانية وتوظف كأداة وقالب لمواكبة مختلف التطورات في مناحي الحياة المختلفة- وهي عندنا نحن العرب لغايات جليلة منها: تنمية الذخيرة المكتسبة عندنا فضلا عن الروح الماتعة التي تحملها والمثاقفة التي تخلقها بين الشعوب<sup>1</sup>.

إن إشكالية المنهج تنبع من سوء فهم وتقدير عام في ماهية المنهج واعتباره مجرد أدوات إجرائية لدراسة النصوص، وفي ذلك يقول عبد الرحمان الجارري صاحب كتاب خطاب المنهج "لقد شاع أن المنهج مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة، أي مجرد خطة مضبوطة بمقاييس وقواعد وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة... وهي في نظرنا لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج اقترح تسميته بالجانب المرئي في المنهج"<sup>2</sup>.

والقارئ لكتاب الناقد المغربي عبد القادر بوطيب المعنون ب: - إشكالية المنهج في الخطاب النقدي- يقف على ما اقترحه من حلول قصد تجاوز هذا الخلل؛ من خلال بسط الرؤية لفهم المنهج ككل متكامل على اعتبار أنه يحتوي شقين من التكوين جانب مرئي أو ظاهر وهو الأدوات الإجرائية وجانب خفي يتمثل في الترجمة العلمية والإجرائية.

وتنبع قيمة المنهج حسب بوطيب من خلال كفايته الإجرائية وما يبين عليه المنهج وما يبرزه من طاقة وحيوية في أثناء تشغيله.

<sup>1</sup>- ينظر سالم العيسى، الترجمة في خدمة الثقافة 9، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

<sup>2</sup>- عباس الجارري خطاب المنهج، 23 منشورات السفير، مكناس، 1990.

إن أهم نقطة أثارها بوطيب في مناقشته للقضية تتعلق بعلاقة المنهج بالإشكال الحضاري، لافتا النظر إلى أن النقاد قد انقسموا إلى فريقين حملت المجموعة الأولى لواء المثاقفة والاستفادة مع التبرم للخلفيات ودون الأخذ في الحسبان كل المرجعيات الثقافية التي تشارك فيه؛ فيما نادى الفرقة الثانية بضرورة الأخذ في الحسبان بكل تلك العناصر. إن الرؤية المغلوطة التي كونها النقاد العرب عن مفهوم المنهج زادت الإشكالية تعقيدا، إذ كيف يكون هناك منهج دون خلفية فلسفية تؤطره ورؤية شاملة تمثل جميع مناحي الحياة الإنسانية ثقافية واجتماعية ودينية. فالمنهج لا ينحصر بمفهوم واحد وأدوات متعددة أو بعض القيم والمعايير، إذ هو في الحقيقة مجموعة من المفاهيم والتصورات المسبقة والأدوات والخطوات الإجرائية والقيم والمعايير.

قامت جل المناهج -إن لم نقل كلها- عند الغرب على خلفيات فلسفية ورؤى إيديولوجية، كانت لها بمثابة السند المتين والحرز القويم والقلب الحاوي الذي تتحرك في إطاره بأمان؛ وبالمقابل فإن هذه المقومات غائبة أو مُغيبية عندنا ما يخلق مشكلة أثناء تشغيل المنهج من طرف الناقد. إن الخطاب النقدي العربي الراهن يتميز بـ "بعد فكري وفلسفي مفقود واستشراف شمولي ناقص"<sup>1</sup>.

### المنهج وشخصية الناقد :

لابد للمنهج الذي يستخدم في محاوره الأعمال الأدبية من يد تحركه وتشغله، ولكن بعناية واحترافية وهذه اليد تتمثل في شخصية الناقد الذي يستطيع بخبرته أن يسخر آليات المنهج النظرية ويحولها إلى أدوات تطبيقية مساعدة على

<sup>1</sup>- ضياء خضير، التشكل التاريخي للكاذب - قراءة في بعض إشكالات النقد والإبداع العربي الحديث 38، دار الكرم لل نشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996.

تشكيل ذلك الخطاب النقدي. ولكن في المقابل عليه بالتمثل الصحيح والدقيق بالإضافة والإنقاص على ذلك المنهج وعلى تلك النظرية في محاولة لتكييفها مع طبيعة النص العربي ومراعاة قدرة قرائه " بحيث يضيف إلى المنهج شيئاً من لونه ومزاجه وحساسيته وأسلوبه ويسمها بميسمه الشخصي الخاص والنوعي المتفرد"<sup>1</sup>.

والناقد - من اعتباره قطبا مشاركا في صناعة الخطاب النقدي - لا شك أن علاقته واضحة كثيرا فيما يتعلق بإشكالية المنهج خصوصا ما يتعلق بالجانب الثقافي له، والثروة الفكرية والمعجمية التي يمتلكها. كما أن لثقافته الأجنبية دخل أيضا حينما يختار منها معينا فهناك اعتبارات كثيرة تؤخذ في الحسبان.

قد يكون قائل على هدى إن قال أن المناهج الغربية ذات طبيعة تكثيفية؛ ذلك أننا نجد المنهج يشهد المفاهيم والرؤى من العلوم الأخرى، ما يساعده على التغلغل ومد جذوره في أعماق تربة البيئة والحياة مثل علم النفس والاجتماع وغيرهما، وقد يرتكز على مبادئ علوم أخرى مثل الإحصاءات والجداول والمنتاليات.

ولو افترضنا أن الناقد المتمثل لمنهج ما لا يفقه في هذه الأمور إلا الشيء اليسير فوقوفه على الحقيقة يعتبر ضربا من المحال؛ بل يكون وقوفه عليها من مسافات بعيدة جدا تنعدم من خلالها الرؤية ويكون محور تماسه مع الجماليات النصية بعد ما يكون التماس.

وأمام غزارة الإنتاج الغربي في مجال المناهج والنقد، ارتبك الناقد العربي واسلم للذوبان في تياراتها دون حساب للفروق التي قد تكون بين النصوص

<sup>1</sup>- حياة جابي، إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر 45، منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.

العربية. وأصبحت جهودهم عبارة عن اجترار فقط يكرر حتى التسميات والمصطلحات، وغابت في كل ذلك شخصية الناقد الحقيقية ولمسته المتفردة وأصبح الناقد الآن يقبل النص -منذ البداية- ليحلله ويكشف عن رموزه في طمأنينة حرفية.

إن من ضرورات إنتاج خطاب نقدي حي أن تظهر شخصية الناقد وبصمته المتفردة؛ ولا يعني ذلك أن لا يطالع الناقد على مختلف الانتاجات والعروض المنهجية -إن صح التعبير- بل بالعكس فإن توسيع مداركه في هذا المجال قد يفتح له الباب لإنتاج نظرية نقدية أو منهج نقدي.

وشخصية الناقد إذا غابت في العمل النقدي فإنه يصبح مجرد إجراء آلي خالي من الروح الإبداعية. يقول محمد صابر "المنهج بلا شخصية نقدية متميزة وعارفة وفعالة ومغامرة جريئة ومبادرة تفعله وتثريه وتخصبه ما هو إلا آلة جامدة عمياء مثل أية آلة مادية أخرى"<sup>1</sup>.

وتكمن وظيفة الناقد في التعامل مع النص قصد وضع اليد على مكامن الجمال فيه دون أفكار مسبقة، لا على النص ولا عن صاحبه، فيكشف ما يستطيع الوصول إليه بذوقه وبتفرد الخصاص على أن لا يدعي انفراده وحده بالكشف عن السر المطلق للعمل الأدبي، ويرغم النص على حمل الأفكار التي يريدها الناقد.

إن الناقد الأدبي في خضم العملية النقدية وفي ضل صراعه مع المنهج الذي يحاول في كل مرة فرض سيطرته باعتباره الأمر النهائي -والتي وفق فيها إلى حد

<sup>1</sup>- محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى التطبيق 220، منشورات الاختلاف، ط1، 2013.

ما- لا بد له من التوضع الصحيح حتى يمتلك رقبة هذا المنهج ويسدده أينما شاء، وحتى يتجنب مهاوي ومزالق كثيرة وشديدة الانحدار -قد يجره المنهج تحت اسم معين أو شعار ما- إليها. فيجب على الناقد أن يكون حذرا في التعامل معه ثابت الخيط في السير ورائه ولا يترك نفسه عرضة للوقوع في حباله وهو ما يؤدي في النهاية لتحريف البحث عن طبيعته<sup>1</sup>. كما أن إثبات الناقد لحضوره بقوة القانون - إن جاز التعبير- يقطع الطريق أمام تسلط المنهج وكبريائه.

### النص ضحية الإرهاب المنهجي :

إن تبادل المناصب الذي أشرنا إليه بأن أصبح المنهج غاية للبحث من طرف الناقد العربي جعل النص يتحول إلى فأر تجارب لا يهم إن مات أو حي بعد إجراء التجربة عليه، وغابت كل الشعارات الزائفة التي كان يصدق بها الناقد قبل محاورته للنص.

وهكذا لم يعد للنص الأدبي قيمة، فقيمته هي تلك التي يمنحها له المنهج فقد يرفعه منهج ويلقي به إلى الأسفل منهج آخر.

لقد رامت العديد من المحاولات والدراسات مناهج غريبة وافدة أنتجت خصيصا لبيئة معينة، وإبداع معين ما جعلها تقع في مأزق تهميش النص من خلال لي عنقه قسرا بتعاملها الآلي معه والتعسفي دون مراعاة لخصوصيته ودون الأخذ في الحسبان ثوابت ملتصقة به وتابعة له تعتبر جزءا من حياته وكيانه، فقدت روح الإبداع في النص، وهامت شخصية الناقد وضاعت، ولم يعد لذوقه مكان ولأحاسيسه موضع. إن المنهجية أمر متغير - أو لنقل لين وزئبقي- لا متحجر

<sup>1</sup>- ينظر إرهاب المنهج في النقد الأدبي المعاصر 20، مختار ملاس.

وجامد وفي هذا الصدد نسجل إفادة حسين مروة حين يقول "أول ما ينبغي أن يكون واضحاً من أمر المنهجية النقدية أنها لا تستحق هذه الصفة إذا هي قامت على أسس ومقاييس ثابتة ثبوت جمود وتحجر وإنما تستحقها صفة المنهجية حين تكون الأسس والمقاييس هذه ثابتة من حيث الجوهر متحركة متطورة متجددة متنوعة من حيث التطبيق"<sup>1</sup>.

ولو توقف الأمر عند هذا الحد لكان أهون. ففي خضم نبذ التقليدي والدرس عليه وإجلال الوافد المصطنع من لدن الغرب "تحول النقد عندنا من دائرة القراءة والتحليل والتأويل إلى الدوران حول نفسه ولم يصبح الخطاب النقدي مكملًا للنص الأدبي وإنما أصبح نصاً موازياً له"<sup>2</sup>.

لقد استلب المعنى من الشاعر وقذف قسراً في بطن القارئ، كما يقول عبد الله الغدامي "كنا قديماً نقول أن المعنى في بطن الشاعر غير أن زمننا هذا سرق المعنى من بطن الشاعر ووضع ناراً حارقة في بطن القارئ، لقد انكسرت مركزية المعنى ومركزية الذات الأولى التي تحتكر المعنى"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- حسين مروة، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي 7، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988.

<sup>2</sup>- إبراهيم صدقة، المنهج البنوي في ضوء الثقافة النقدية 67- كمال أبو ديب نموذجاً- منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.

<sup>3</sup>- عبد الله الغدامي، تأنيث القصيدة والقارئ المتخلف 103، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

**خاتمة :**

من حقنا أن نستمتع ونتذوق إبداعاتنا كما تذوقها القدماء، وأن نقف على مكامن الجمال فيها. وقد تصلح معنا مقولة (الغاية تبرر الوسيلة) يعني لا يهيم المنهج المستخدم في استنطاق النص إذا كان يفي بالغرض ويبين على مكامن الجمال، ولا يهيم إن كان محلي الصنع أو نتاج لثقافة غير ثقافتنا. إنه من حق أي ناقد أن يتمثل النظرية والمنهج الذي يراه مناسباً له ولكن أن يكون العمل مجرد موضة وتلقف بهدف التباهي فهذا ما لا تقوم لإبداعنا معه قائمة، وإذا كان كل واحد لا يتحمل المسؤولية في هذا الباب فلن تترك ثقافتنا. فحقيق بالمتخصصين أن يكونوا على قدر المسؤولية وأن لا يتركوا المجال لمن هم ليسوا أهلاً للمهمة، ولعل إشاراتنا في هذه المحاولة كانت بعرض الأسباب والمشاكل، وما النقيض منها إلا حلول بسيطة التحقيق وواضحة يجب أن يلتفت حولها النقاد فيتشربوا التراث النقدي العربي وينقبوا في تضاعيفه بحثاً عن جذور مباركة تكون بمثابة الجذوة التي ينطلقون منها؛ وإن لم يكن فعلهم بالأخذ بالأسباب التي يمكن من خلالها محاوره المناهج النقدية الوافدة والوقوف على آليات تشغيلها الصحيحة حتى تثمر إبداعاتنا الفائدة المرجوة منها.



## المراجع :

- إبراهيم زرماني، أوراق في النقد الأدبي، دار شهاب باتنة، ط، 1، 1985.
- إبراهيم صدقة، المنهج البنوي في ضوء الثقافة النقدية - كمال أبو ديب نموذجاً - منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.
- أحمد بوحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1985.
- أزمة الإبداع في الفكر العربي المعاصر - أزمة ثقافة أم أزمة عقل، مجلة فصول، ع3، لسنة 1984.
- حسين مروة، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1988.
- حياة جابي، إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.
- سالم العيسى، الترجمة في خدمة الثقافة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- سمير حجازي، إشكالية المنهج في النقد العربي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 2004.
- سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002.
- ضياء خضير، التشكل التاريخي للكاذب - قراءة في بعض إشكالات النقد والإبداع العربي الحديث، دار الكرم للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996.
- مجموعة من الباحثين قضايا العلوم الإنسانية - إشكالية المنهج إشراف وتقديم: يوسف زيدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.
- محمد برادة، محمد منظور وتنظير النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1985.

محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى التطبيق، منشورات الاختلاف، ط1، 2013.

مختار ملاس، إرهاب المنهج في النقد الأدبي المعاصر، منشورات مخبر المفاضة العربية في الأدب ونقده، ط1، 2015.

عباس الجراري خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، 1990.

عبد الله الغدامي، تأنيث القصيدة والقارئ المتخلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.

وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 2007.

يمى العيد، في معرفة النص، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983.

